الشخصية لا يجب اسداءها الى غريب ، ولذا فانها عادة تموت معهم . وطبعا توجد أيضا فئة المتهيبين الذين يجدون صعوبة في الانطلاق بالحديث امام الاغراب .

أما « الايجابيون » ، فبينهم الشيوخ الذين لا يستطيعون رواية الاحداث حسب تسلسل منطقي بسبب طعنهم في السن . اذ أن ذاكرتهم قد تكون مليئة بالاحداث التاريخية التي شهدوها ، وهم على استعداد لسردها ، الا ان ارتباكاتهم الذهنية متشابكة ومتشعبة ، ويصعب على الباحث متابعتها وتسجيلها بوضوح . وعموما سيجد الباحث ان العرب يميلون الى المبالغة في الارقام (لا تكاد توجد عاصمة عربية قديمة لم يخبرنا مؤرخوها الكلاسيكيون انها تحتوي على أقل من الف حمام) والى العاطفية التي تفسد مقدرتهم على تحليل الاحداث تحليلا موضوعيا سليما ، والى تصوير الاشخاص بلون واحد : أما أسود او ابيض .

الا ان ذلك كله يجب الا يثبط من عزم الباحث على تسجيل الشهادات الشخصية للتاريخ ، فالتجربة الفلسطينية يجب ان تدون على أوسع نطاق ممكن ، وهناك عشرات وعشرات من الشهادات المهمة ما زالت غير مكتوبة ، فمتى سيدرك أصحابها ان للقضية دين في اعناقهم ، في هذا العصر الذي توسعت فيه مدارك المواطنين العرب وارتفع مستواهم الثقافي ، لم يعد الباحث المختص يعمل لزميله الباحث المختص فقط ، كما كان الامر قبل سنوات قليلة ، عندما لم تكن هناك الا نخبة صغيرة من المثقفين تقرأ البحوث الجدية عن القضية . ان الوطن العربي يمر حاليا في مرحلة انتقال يمكن اعتبارها نقطة تحول رئيسية في تاريخه . وسيثمر عن النمو الحضاري في الوعي والثقافة زيادة في تصميم المفكرين والباحثين العرب على كسر الاحتكار الغربي ـ الصهيوني في كتابة البحوث وتدوين التاريخ .

ان المرحوم عارف العارف قد أسدى خدمة كبرى للقضية عندما عكف على تسجيل تطوراتها في مذكراته اليومية طوال سنين عديدة ، فكان شاهدا واعيا للتاريخ يستحق تقدير كل باحث اقتضى أثره . ثم لا بد من الاشادة بالجهود الرائدة لمركز الابحاث الفلسطينية ، فهو لم يخدم القضية الفلسطينية فقط ، بل انه أيضا خلق الظروف الملائمة لجيل كامل من المفكرين العرب كي يتفرغ للبحث . وهذا الانجاز لا يقل اهمية في حد ذاته عن الانجاز المباشر لهذا المركز عندما أخذ على عاتقه تعريف العالم بالتاريخ الحقيقي للقضية الفلسطينية ، فاليوم سيأتي الذي فيه تحل القضية الفلسطينية ويعود الفلسطينيون الى ديارهم ، الا ان البذرة التي غرستها القضية في نفوس المثقفين العرب عندما دفعتهم بتحدياتها الفكرية الى البحث والدراسة ، هذه البذرة ستنمو وتترعرع في عهد زاهر سيستعيد فيه العرب حبهم التاريخي الشهير للمعرفة والاستقصاء .

والمطلوب الان من المؤسسات الاقتصادية الكبيرة في الوطن العربي ان تساهم في هذا الاتجاه وتعاون الباحثين ، علما بأن القضية الفلسطينية هي ليست القضية الوحيدة في هذا الجزء من العالم التي تستحق البحث . ولا يجب ان يترك الميدان للجهات الرسمية وحدها كي تحتضن هذا النشاط الفكري وترعاه ، فليست الجامعات والمعاهد العليا في اوربا وامريكا هي الوحيدة التي تخصص المنح والزمالات للباحثين كي تشجعهم على التفرغ للبحث والتأليف ، بل هناك أيضا المؤسسات المالية وكذلك الافراد ، وهؤلاء جميعا باستطاعتهم ري نبتة المعرفة ورعايتها . وختاما ، فاذا كان العرب مقبلين على عصر ذهبي جديد ، فليتذكروا ان عصر المأمون لم يعتبره المؤرخون قمة في التاريخ لمجرد ان الامبراطورية العربية بلغت اوجها فيه ، وانما لانه أيضا عهد التمع فيه العالم بضياء الفكر العربي .